وغير ذلك من الذنوب ومن قال من العلما توبته غير مقبولة فحقيقة قوله التي تلايم
اصول الشرع ان يراد بذلك ان التوبة المجردة تسقط حق الله من العقاب
واما حق المظلوم فلا يسقط بمجرد التوبة وهذا حق ولا فرق في ذلك بين ٣٦٢
القاتل وسائر الظالمين فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم لكن من
تمام توبته ان يعوضه بمظلمته وان لم يعوضه في الدنيا فلا بد له من العوض
في الاخرة فينبغي للظالم التائب ان يستكثر من الحسنات حتى اذا استوفى منه
المظلومون حقوقهم لم يبق مفلسا ومع هذا فاذا شا الله ان يعوض
المظلوم من عنده فلا راد لفضله كما اذا شا ان يغفر ما دون الشرك لمن يشاء
ولهذا في حديث القصاص الذي ركب فيه جابر بن عبد الله الى عبد الله بن انيس
شهرا حتى شافهه به وقد رواه احمد وغيره واستشهد به البخاري في
صحيحه ورواه في كتاب الادب من تاليفه مستقل وهو من جنس حديث
الترمذي صحاح او حسان قال فيه اذا كان يوم القيمة فان الله يجمع الخلائق
في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ثم يناديهم بصوت
يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد
من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار قبله مظلمة حتى اقصه منه فبين
في الحديث العدل والقصاص بين اهل الجنة واهل النار وفي صحيح مسلم من
حديث ابي سعيد ان اهل الجنة اذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين
الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا
فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة وقد قال سبحانه لما قال
ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله
ان الله تواب رحيم فقد نبههم على التوبة من الاغتياب وهو من الظلم
وفي الحديث الصحيح من كانت عنده مظلمة لاخيه في دم او مال او عرض
فليتحللها منه قبل ان ياتي يوم ليس فيه درهم ولا دينار الا الحسنات
والسيئات فان كان له حسنات اخذ من حسناته بقدر مظلمته والا
اخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم طرح في النار

فصل

واما قوله يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا
نفعي فتنفعوني فانه بين بذلك انه ليس هو فيما يحسن به اليهم
من اجابة الدعوات وغفران الزلات بالمستعيض بذلك منهم جلب
منفعة او دفع مضرة كما هي عادة المخلوق الذي يعطي غيره نفعا
ليكافيه بنفع او يدفع عنه ضررا ليتقي بذلك ضرره فقال
انكم

فقال انكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني فلست اذا
اجبتكم بهداية المستهدي وكفاية المستكفي المستطعم والمستكسي بالذي اطلب
ان تنفعوني ولا انا اذا غفرت خطاياكم بالليل والنهار اتقي بذلك ان تضروني
فانكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني اذ هم عاجزون
عن ذلك بل ما الله سبحانه متعال عن ذلك فبين تنزهه عن لحوق نفعهم وضرهم
في احسانه اليهم بما يكون من افعاله بهم وامره لهم قال قتاده ان الله لم يامر
العباد بما امرهم به لحاجته اليهم ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به عليهم
ولكن امرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم ولهذا ذكر هذين
فذكر ان برهم وفجورهم الذي هو طاعتهم ومعصيتهم لا يزيد في ملكه ولا
٣٦٤ ينقص وان اعطائه اياهم غاية ما يسالونه نسبته الى ما عنده ادنى
نسبة وهذا بخلاف الملوك وغيرهم ممن يزداد ملكه بطاعة الرعية
وينقص ملكه بالمعصية واذا اعطى الناس ما يسالونه انفد ما عنده
ولم يغنهم وهم في ذلك يبلغون مضرته ومنفعته وهو يفعل ما
يفعله من احسانه وعفوه وامره ونهيه لرجاء المنفعة وخوف المضرة
فقال يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب
رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا
اذ ملكه وهو [illegible] على الذكر فدل على انه لا يزداد بطاعتهم ولا ينقص
بمعصيتهم

فصل

ثم ذكر حالهم في النوعين سواله وطاعته
امر اللذين ذكرهما في الحديث حيث ذكر الاستهدا والاستطعام
والاستكسا وذكر الغفران والبر والفجور فقال لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسالوني فاعطيت
كل انسان منهم مسالته ما نقص ذلك مما عندي
الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر والخياط والمخيط ما يخاط به
اذ الفعال والمفعل والمفعال من صيغ الالات التي يفعل بها
كالمسعط والملحاف والمنشار فبين ان جميع الخلائق اذا سالوا
وهم في زمان واحد ومكان واحد فاعطى كل انسان منهم

Copyright © King Saud University